نفسية المحارب

للدكتور محمد حسني ولاية

قبل أن أخوض فى هذا الموضوع أقول إن السادية Sadism هى النزعة إلى إيلام شخص آخر أو القضاء عليه ، مصحوبة بشعور لذيذ . وهذا الألم إما أن يكون وليد عامل مادى كالضرب بالسوط ، أو معنوى كالتوبيخ والاحتقار . أما الماسوشية Masochism ، فهى على النقيض من هذا ، لأنها تنطوى على استعذاب العذاب والألم ماديا كان أو معنويا

إن الذى يدعو الإنسان إلى قتل أخيه الإنسان هو النزعة السادية المتحكمة فى نفوس البشر جميعاً ؛ وليست هذه النزعة غريبة عن نفوس النساء ، بل هى مستقرة فى أعماقهن بدليل ظهورها فى بعض المصيبات ، وأحياناً فى اللاتى بلغن سن اليأس

ويحمل كل إنسان — رجلاً كان أو امرأة — نزعة السادية متوازنة مع نزعة الماسوشية ؛ ويُبقى الرجل جانباً كبيراً من ساديته فى وعيه ، فيتسلط على المرأة ويتحكم فيها ، ويحاول التسلط على ضعفاء الرجال ، والتغلب على صعوبات الحياة . على أنه يكبت فى عقله اللاواعى (العقل الباطن) معظم النزعة الماسوشية

ويحدث عكس هذا فى المرأة ، لأن وعيها يحملها على الخنوع والاستسلام لبقاء معظم النزعة الماسوشية فيه . وكثيراً ما تبرز النزعة السادية فى المرأة عندما تصادف منافسة لها فى حب الرجل فتعمد حينئذ إلى الانتقام من أحدهما أو كليهما

تعنى السادية أن يهدم الإنسان سواه ليخلو له الجو ويستأثر بالحياة . فهى نزعة مقترنة بالرغبة فى الحياة والسيطرة . أما الماسوشية ، فتعنى أن يهدم الإنسان نفسه . فهى وثيقة الصلة بغريزة الموت ، وتستقر غريزة الحياة فى عقلنا الباطن جنباً إلى جنب غريزة الموت ؛ ولهذا الجانب من التمثيل المعنوى جانب مادى يقابله ، فغريزة الحياة تمثلها الغدد الجنسية التى تفرز العناصر الحيوية الأولى . أما غريزة الموت ، فيمثلها الجمد الذى مآله إلى البلى !

ولا يلجأ الإنسان إلى عداء الإنسان إلا إذا أمعن فى كبت النزعة الماسوشية ، وأبرز فى الوعى كل الطاقة النفسية المتعلقة بالسادية

يؤدى العرف فى أوقات السلم إلى أن يكبت الرجل شطراً من ساديته لينسجم مع المرأة والبيئة . أما فى زمن الحرب فتتحكم السادية فى العقل الواعى وحينئذ يتحرك الحيوان الرابض فى الأعماق ليقضى على فريسته . وليس هذا الحيوان سوى الإنسان البدائى الذى ما زال متمتعاً بكامل قوته وعدته

وحين تسير الجيوش للملاقاة العدو يتناسى كل جندى شخصيته ويعود إلى ماضيه الفطرى ويعمل كما كان يعمل آباؤه الأولون . وهو فى هذه الحالة يشعر بأنه ليس طوع نفسه ، ولكنه رهن الإرادة البشرية الأزلية التى تسيطر على سرائرنا جميعاً . أما إذا أمعن الجندى فى وعى ذاته Self-Consciousness وشعر بأن شخصيته قائمة بذاتها لم تستطع روحه الاندماج مع الروح التى تقود زملاءه الجنود إلى التلاحم مع العدو

ويصيب بعض الجنود مرض الهستريا أو القلق العصبى بتأثير الحرب ؛ ففى الحالة الأولى قد يعترى الجندى شلل فى إحدى ذراعيه أو كليهما ، أو فى إحدى رجليه أو كليهما ، كما قد ينتابه العمى الهستيرى بتأثير القنابل الخانقة مثلاً ، أو الصمم بتأثير القنابل ، وكل هذه الأعراض نفسية يمكن شفاؤها بالعلاج النفسى

ويشعر المريض بالقلق العصبى بالخوف وخفقان القلب واهتزاز الأعضاء وغير ذلك ، أما شفاؤه فليس بعسير

وقد وجد أن بعض المصابين يحتمل جنون المراهقة أشد ثباتاً وأرسخ نفسية من بعض زملائهم لانطفاء انفعالاتهم وعواطفهم ، فهم لا يلون بالأخطار المحدقة بهم ، ويسيرون فى الصفوف كالبهم السائمة

محمد حسنى ولاية